العميد ابن العماد

الكاتب : أحمد الشامي

التاريخ : 29 يوليو 2012 م

المشاهدات : 6316

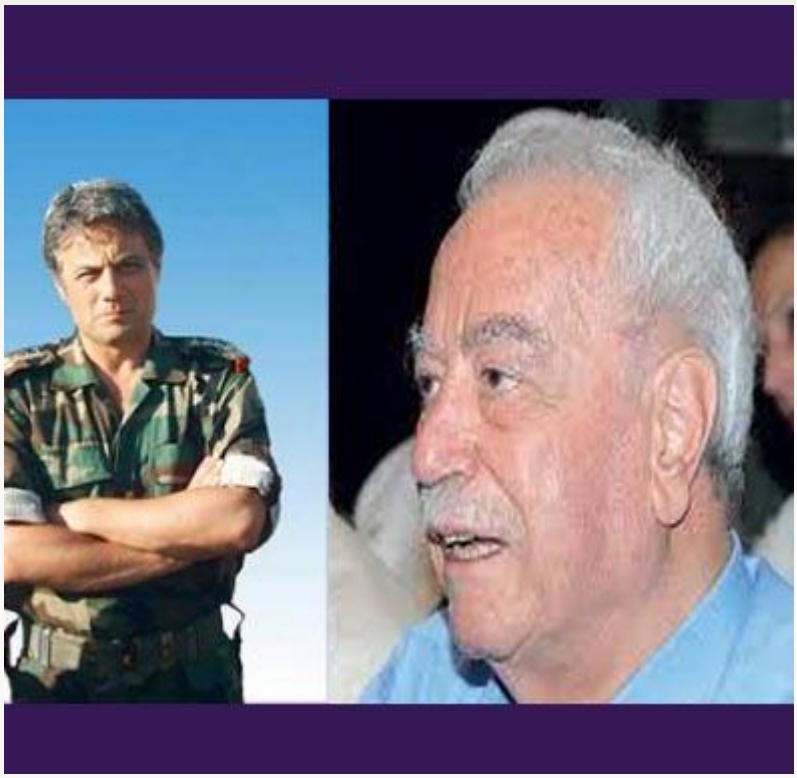

في جلسة سمر حضرها المحامي المرحوم "محمود الصابوني" في منزل العماد "مصطفى طلاس" في الثمانينات من القرن الماضي، قال "الصابوني" وهو من ظرفاء دمشق المشهود لهم بحس النكتة ، لمضيفه وزير دفاع الأسد المزمن :" سيادة العماد، أنت قارئ نهم وقد ألفت العديد من الكتب في مجالات شتى ، بما فيها واحد مختص بالعناية بالنبات.

إضافة إلى ذلك ، أنت تدير دار نشر وتدبج الشعر وللتو افتتحت مزرعة لتربية طائر الفري، تضاف إلى باقي أعمالك ومشاريعك.

كل هذا يحتاج إلى وقت ، فبالله عليك متى تجد الوقت لممارسة مهامك كوزير للدفاع ؟ في أوقات فراغك ؟". انفجر الحاضرون بالضحك بما فيهم الوزير العتيد الذي كان لديه، على ما يبدو، حس للنكتة.

حس النكتة هذا يبدو أنه قد غاب عن السيدة "تاريا هالونين" رئيسة فنلندا والتي نشرت مذكراتها عام 1999. السيدة "هالونين" والتي كانت وزيرة خارجية فنلندا بين 1995 و 2000 ذكرت أنها زارت سوريا مرتين في طريقها لتفقد الوحدة الفنلندية في جنوب لبنان.

في المرتين كان العماد المقدام "مصطفى طلاس" في انتظارها في المطار ليأخذها بسيارته.

في المرتين، حاول زير النساء اغتصاب الوزيرة الزائرة ! انتهى الأمر بالحكومة الفنلندية إلى تقديم احتجاج رسمي لدى السلطات السورية في المرة الثانية.

الراحل "ياسر عرفات" كان له نصيب من "حس الدعابة" المعهود لدى العماد المفوه، حيث لقبه "وزير دفاع الممانعة" علناً بـ"ابن ستين ألف....". هذا بعد اتفاقيات اوسلو التي "ضاربت" على اتفاق فصل القوات الأسدي الإسرائيلي.

الوزير الوسيم كان يتباهى بغزواته النسائية، مثله مثل نظيره الليبي "ابن العقيد" المعتصم القذافي. بين محظياته نجد "حبه الأكبر" السيدة "جينا لولو بريجيدا" والتي زارت دمشق في ضيافة الوزير العتيد بعدما اشترط الوزير المقاوم أن تكون السيدة "بريجيدا " هي من يوقع عقد شراء هيليكوبترات "أغوستا" الإيطالية !

مثلها "جين مانسون" التي حظيت بإقامة حفل فني في دمشق بعد ليلة حمراء في أحضان الوزير "الممانع" وغيرهما كثر.

الوزير النبيه تمتع أيضاً بحس رجل الأعمال اللماح، فوافق على زواج ابنته "ناهد" ابنة الثمانية عشر عاماً من تاجر السلاح المعروف "أكرم العجة" ابن الخمسة وستين عاماً.

الزواج كان صفقة ناجحة لكل الأطراف، فالعماد استفاد و"قبض" وتاجر السلاح وسع دائرة نفوذه وأعماله وحظي بزوجة حسناء وذكية، أما الزوجة فقد ترملت بعد بضعة وعشرة أعوام وتربعت على ثروة تقدر بمليار دولار.

شطارة العماد لم تقف عند هذا الحد، فقد وضع ابنه البكر "فراس" على رأس مجموعة تجارية رابحة في مجال الأعمال، وأنه الثاني "مناف" في الجيش، وفاته أن يجعل من أحد أبنائه شيخاً معمماً ليجعل منه مفتياً للديار السورية !

موقع العماد المغوار في الجيش السوري يحتاج للكثير من التبصر لمعرفة أن الوزير العتيد عسكري ! فالرجل لم يجلِّ لا في معركة ولا في حرب ومهنته تنحصر في الانقلابات. كل من تردد على مراكز القرار في الجيش السوري يعرف أن سلطة العماد "طلاس" لا تتعدى منح إجازة لمجند "بشرط عدم اعتراض قائده المباشر!". بكلمة أخرى، العماد طلاس هو أشبه "بصحن طائر مجهول المصدر" الكل يتحدث عنه في الجيش ولكن لا أحد رآه ولا أحد يعرف ماذا يفعل، بالعامي "رجل كرسي، مثل قلته...".

أحد نجاحات العماد الإعلامية هو تقديمه لنفسه على أنه "رجل السوفييت في سوريا" في حين تقع مصالحه التجارية مع فرنسا "بحكم المصاهرة" على الأقل.

مع ذلك، قام الأسد بتوزيع "الواجبات" بالقرعة، وبالتراضي، على خدمه المخلصين، وكان من نصيب العماد "الشقيق السوفييتي"، في حين حظي منافسه السني الآخر، العماد "حكمة الشهابي" بلقب رجل أمريكا في دمشق. حقيقة الأمر هي أن السوفييت و الأمريكيين هم من أراد وضع "وجوه سنية" في الواجهة لتقويتهم، في مقابل الطابع العلوي الطاغي على النظام.

إسرائيل من جهتها كان لها في رأس الهرم خير حليف وخير صديق. مع وصول الأسد الوريث إلى السلطة، استمر الطاقم "السني" في النظام في أداء دوره التجميلي لنظام العصابة الفئوي والطائفي في دمشق، حتى تم الاستغناء عمن رحل بسلام، و"انتحر" من مانع في الرحيل مثل الزعبي وكنعان.

العماد "طلاس" المحب للمال والنساء وللأبهة والألقاب الطنانة أصبح خارج المعادلة. الأسد الأب كان يحافظ على خدمه حتى مماتهم أو قتلهم ، أما الأسد الابن فقد اكتشف محاسن التقاعد وهذا ما لم يغفره له أزلام الأب.

حين اندلعت الثورة السورية كان العماد العتيد خارج المعادلة السياسية في سوريا، وانحصر دور العائلة بالملازم الشجاع "عبد الرزاق طلاس" وجه الثورة الواعد.

العماد "طلاس" وأبناؤه أظهروا عجزاً عن أداء الدور الذي سبق للعماد أن أداه وهو الحفاظ على ولاء الرستن وأهلها ولعب دور "الماكياج" السني لنظام اختار الغرق في حرب "تطييف" للمجتمع بكامله. في ظل غباء ورعونة نظام الشبيحة، ما كان لا لطلاس ولا حتى للبوطي أن يقوم بتجميل وجه القاتل البشع.

الأسد الابن لم يكن لديه لا دهاء ولا صبر أبيه وانتهى به الأمر إلى إشعال سوريا كلها بحماقة وصبيانية.

هذا الأمر أدركته العائلة "الطلاسية" سريعاً وأدركت أيضاً أنها فشلت في أداء الدور المطلوب منها من قبل النظام ولم يعد لها

من مكان أو دور في "سوريا الأسد".

هكذا فر أفراد العائلة الواحد تلو الآخر، فراس ذهب ﷺلى دبي "لمتابعة أعماله" ولكي يدعي "أنه مقاوم ومع الثورة منذ البداية !" الأب لم يقطع شعرة معاوية مع الأسد وسافر لباريس "لفحوص صحية" ووعد بالعودة فور انتهائها، لكن هذه الفحوص على ما يبدو ستطول.

بقي العميد "مناف" في دمشق، حبيس قصره. الرجل "قائد لواء" في الحرس الجمهوري ولكن لا نفوذ فعلياً له فهو وأبوه قبله لم يكونا يوماً من "عظام رقبة" النظام ووضع العميد "مناف" في بيته كان تكريساً لأمر واقع.

القول "أن العميد المنشق توقع في بداية الثورة أنه سيقدر على تغيير مصير "بابا عمرو" بعدما عجز عن تهدئة بلدته "الرستن" والحد من عدوان النظام عليها لا يعدو كونه "تجميل بضائع".

يحتاج المرء ﷺلى الكثير من السذاجة لكي يعتقد أن العميد مناف سيكون أكثر حظاً في جهوده من الناطق باسم النظام "بشار الأسد" الذي استقبل أهالي الشهداء ووعدهم خيراً، فالعميد الوسيم لا قيمة عسكرية له ولا قوات تحت ﷺمرته. حتى "الصداقة" بين مناف وبشار لا تغير من الأمر شيئاً لأن بشار ذاته ليس أكثر من واجهة لعصابة تحرك الأمور من وراء ستار.

في هذه الظروف، أصبح بقاء "مناف" في دمشق عبئاً على العائلة التي تريد ﷺعادة "تدوير" نفسها وعرض خدماتها في بناء "سوريا المستقبل". خروج العماد "طلاس" الذي يحتفظ بالكثير من أسرار النظام كان الفيصل فيما يخص العائلة كلها. مع ذلك، مر خروج "طلاس" الأب مرور الكرام ! ما كان لنظام الأسد أن يؤذي "مناف" و يفتح على نفسه باب الفضائح ويتعرض للسان "العماد" السليط. من هنا جاء خروج العميد "مناف طلاس" ليلتحق بالعماد "مصطفى طلاس" تحصيل حاصل.

هل جاء خروج العميد بالاتفاق مع أطراف نافذة في نظام الأسد ؟ يمكننا طرح ﷺمكانية أن يكون لبعض أطراف النظام يد في "انشقاق" العميد، ربما بهدف خلع "الماكياج" السني، عديم الفائدة، عن وجه النظام و رص صفوف مقاتلي "الطائفة الكريمة".

من ساعد "مناف طلاس" على الخروج ؟ الروس ليست لهم مصلحة في رؤية العميد "مناف" ينشق جهاراً عن النظام وكان في مقدوره جلبه ﷺلى موسكو. لكن للروس مصلحة في فتح قناة معه بعدما خرج والمراهنة على عائلة لا يفوقها في العمالة والفساد سوى آل الأسد. الأغلب أن خروج العميد الفار جاء بالتنسيق مع أكثر من جهاز استخباراتي بينها المخابرات الفرنسية ذات النفوذ الواسع في لبنان.

عدم توجه العميد "مناف" ﷺلى موسكو مباشرة لا يعني عدم التعاون مع الصديق الروسي الذي له كل المصلحة في أن لا يضع كل البيض في سلة الأسد.

رغم الضجة الفارغة التي أثيرت حول فرار العميد "مناف"، بقي الرجل صامتاً حتى مساء 23 تموز، وهذا يعني أن مفاوضات قد دارت بين العائلة "الطلاسية" وبين أكثر من طرف له مصلحة في الضغط على الأسد. العميد العتيد خرج عن صمته بطريقة مسرحية عبر بيان "حصري" على العربية، كأن الأمر يتعلق بمسلسل تلفزيوني أو بكليب، وهو ما يؤكد أن الرجل بعيد كل البعد عن الانفعال وأنه "يحسبها صح" ويفهم في "الأصول" وليس كهؤلاء الضباط الذين تحركوا بانفعالية وبنخوة حين شاهدوا المذابح التي تعرض لها أهلهم. العميد خرج عن صمته حين أصبح الظرف مناسباً و بعدما لم يبق في بلدته "الرستن" حجر على حجر.

الرجل طلع علينا بلغة عربية ضعيفة يخجل منها أبوه "الشاعر المرهف" وبخطاب لا يسمن ولا يغني من جوع، متحدثاً عن "أخطاء" قام بها "الجيش العربي السوري" في حين يرى الثائرون في هذا الجيش جيش احتلال غاشم و في ممارسات عسكر الأسد مجازر يندى لها جبين "هولاكو" وليس مجرد "أخطاء".

بتصريحه الاستعراضي هذا، يضع العميد "طلاس" نفسه في تصرف "سوريا موحدة" تنتظر "تشريفه".

المشكلة هي أن أياً من الثائرين لن يقبل بأن يحل "العميد مناف" ابن العماد مصطفى، محل "الفريق بشار" ابن الفريق حافظ

ولو تغطى الأول بعباءة سنية وبايعته دول أصدقاء سوريا كلها، سوف يبقى العميد مناف "المنشق" واحداً من الضباط المنشقين الذين يحاربون على شاشات التلفاز من فنادقهم المريحة، شتان بين "العميد مناف" والملازم "عبد الرزاق طلاس" الذي يقاتل على الأرض ويحظى بالاحترام والتقدير.

لكن الدور الأرجح للعميد المنشق ليس في هذا المضمار، فوضع الرجل في المقدمة وتسويقه، مستقبلاً، على أنه "رجل الحل" في سوريا قد يكون مقدمة لتدخل عسكري يهدف لخلع الأسد.

داعمو"مناف طلاس" الخارجيون سوف يمكن لهم تقديمه على أنه يمثل حلاً وسطاً، فهو سني مثل أغلبية الشعب السوري، وهو محسوب على النظام بما يهدئ من روع أزلام الأسد الذين يتحسسون رؤوسهم خوفاً من انتصار الثورة، ثم ن الرجل وعائلته "يفهمون في البيزنس" ومستعدون لضمان مصالح الجميع في سوريا دون الخوف من صحوة ضمير أو من حس بالمسؤولية الوطنية "لا سمح الله".

الأسد وعصابته يعرفون ذلك تماماً، ويدركون أن الطريقة الوحيدة لتنصيب "العميد مناف" على عرش الجماجم في دمشق هي عبر تدخل خارجي مع الاستعانة بعناصر داخلية، قد تكون هي ذاتها التي سهلت خروج العميد "مناف" ضمن صفقة كبرى يتم طبخها على نار هادئة.

سيفهم الأسد حينها الأمر على أنه رسالة مؤداها : "أن الأمور أصبحت جدية وأن هناك من يحضر جدياً لخلعه". في هذه الحالة قد "يفهم الأسد بالذوق" ويقرر الرحيل مع عائلته وعصابته لى طهران و"كفى الله المؤمنين شر القتال".

بكلمة أخرى، العميد "مناف" ليس العماد "علي حبيب" وليس له من دور دون دعم خارجي ودون أن يتم فرضه على الثورة كبديل متوافق عليه دولياً للأسد. الدور المرسوم للعميد المنشق قد يكون، في أحسن الأحوال، أقرب لى دور "جلبي" سوريا منه لى أي شئ آخر .

المصدر: سوريا المستقبل

المصادر: